بين تغييرات العام ٢٠٢٥ والتحوّلات في ٢٠٢٦ تفاؤل وتحديات

رولى راشد

صحيح ان العام ٢٠٢٥ لم يكن العام المثالي على كل الصعد، لكنه حمل تغييرات كثيرة، لووضعت في غربال التقييم لوجدنا فيها رزمة كبيرة من الإيجابيات محّملة بعناوين النهوض، رغم العصي في الدواليب والمشاكل المعقّدة.

مهما حاولنا التجاهل، لا يمكن إغفال ما تركته الأزمة الإقتصادية والمالية غير المسبوقة، وما تبعتها من ارتدادات على مختلف القطاعات في لبنان، ولا سيما منها القطاع الصحي والإستشفائي اللبناني الذي كان دائما ركيزة اساسية، لا بل قدوة على طريق التعافي السريع.

عالمياً، من الملاحظ ان قطاع الرعاية الصحية شهد احداثاً كثيرة في العام ٢٠٢٥، لم يستثنى منها الإعتماد على الذكاء الإصطناعي فيما يتوقع المراقبون اننا سنشهد في المستقبل القريب زيادةً في استخدام الروبوتات البشرية في المستشفيات على سبيل المثال، لتكون قادرة على التفاعل مع بيئة المستشفى من خلال «نماذج العالم» ومجهزة للتعامل مع مهمات غير متكررة وغير مبرمجة مسبقاً تشبه المهمات البشرية.

وفق توقّعات «جولدمان ساكس» ستواصل الشركات التقنية العملاقة ضّخ استثمارات ضخمة في بناء بنية الذكاء الاصطناعي، ليصل الإنفاق الرأسمالي إلى ٥٣٩ مليار دولار في ٢٠٢٦، بزيادة ٣٦٪ عن العام ٢٠٢٥.

في غضون ذلك، في القطاع الصحي، تنصب الجهود على الوقاية للتصدي لكثير من الأمراض ومواجهة الفيروسات والجائحات. فالرعاية الوقائية تُسهم في تقليل العبء الطبي الطويل الأمد مع تحسين النتائج.

من هنا، سيرّكز قطاع الرعاية الصحية في المرحلة المقبلة على الكشف المبكر، والرعاية القائمة على البيانات، والصحة الطويلة الأمد بدلاً من العلاج التفاعلي.

والتحدي القادم يكمن في قدرة العقل البشري على التحكّم بالذكاء الإصطناعي، ووضعه بتصرفه لخدمة الإنسان حفاظاً عاى المبادىء الأخلاقية المرتبطة بالخصوصية، والتي تتطلب حوكمة دقيقة وضمانات.

اما في لبنان، ووسط ضيق الخيارات في معالجة بعض الأمور، ولا سيما منها الصحية المقيّدة بأوضاع اقتصادية ومالية واحياناً كثيرة بمصالح فردية، رسالة أمل مؤثّرة نشرها قداسة البابا لاوون الرابع عشر خلال زيارته الى لبنان: ***«لبنان انهض وكن علامة للسلام في المشرق.»*** النهوض يتقنه الشعب اللبناني، وهو ايمان اوطان لا مكانة للإستلام في تاريخها.

يقول ونستون تشرشل :

«المواطنون الأصحاء هم أعظم ثروة يمكن أن تمتلكها أي دولة».

العناية بالصحة هي مسؤولية كبيرة في كل دولة، وفي لبنان، مستوى الرعاية متقدم رغم كل الظروف، لا بل انه يتميّز بأفضل الأنظمة الصحية في العالم العربي، بعدما احتلّ المرتبة الأولى إقليميًا في مرحلة سابقة قريبة.

وهو اليوم يحتل المرتبة ٥٠ عالمياً في تقييم جودة الخدمات والبنية التحتية World Population Review ٢٠٢٥.

يتمسّك بتنافسيته وجودة خدماته الطبية، مع وجود كفاءات طبية ومستشفيات متطوّرة تبقى مقصداً للعديد من المرضى من داخل وخارج لبنان.

عالم الصحة واسع يشمل التطورات في التشخيص، والعلاج، والمعدات الطبية، والطب التقليدي والتكميلي وغيرها...

اما تناول المواضيع الصحية وكل ما يدور في فلكها من وقاية، ودواء، وإكتشافات، وعلاجات وتطوّرات الى جانب الغذاء الصحي والبيئة النظيفة هو صلب تركيزنا في مجلة **«الصحة والإنسان»** منذ عددها الاول في عام ٢٠٠٧، حيث تم فتح ملفات حسّاسة، وضعناها امام القراء بقلم خبراء واخصائيين واكاديميين، نقلوا معرفتهم وإطلاعهم ومواكبتهم لكثير من الأمراض، والحالات الصحية والنفسية والجسدية والإجتماعية.

وفي هذا العدد ٥٦، كان اختيار هيئة التحرير أهم مواضيع الساعة، المطروحة في الحاضر والمرتقبة للمستقبل؛ ومنها **مشروع قانون البطاقة الصحية** الذي هو حلم يراود كل لبناني منذ زمن بعيد، فلا يعود همّ المرض والتداوي مرهقاً للجيوب والنفوس، رغم بعض الإنتقادات والملاحظات التي تواكبه.

ومن اجل ذلك، شرح رئيس لجنة الصحة النيابية الدكتور بلال عبد الله مسار المراحل التي اجتازها هذا القانون والفئات المشمولة به.

كما لقضية **الصحة النفسية ودور علم النفس السريري** اكثر من موضوع؛ فالإستقرار النفسي، بدون اي شك يساهم في تخفيض خطر امراض كثيرة.

وابعد من ذلك، فهو يزيد من مستوى الكفاءة والإنتاجية بعد رفع منسوب التركيز، والإبداع، والقدرة على إنجاز المهام في العمل أو الدراسة بكفاءة عالية.

والمرونة النفسية لدى الفرد تساعده على التعامل مع تحديات الحياة اليومية والأزمات بشكل صحي بعيداً عن الإنهيار أو التوّتر المزمن.

وفي هذا السياق، ثمة **قراءة للتأثيرات الصحيّة الجسدية والنفسية مع إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي** التي طغت في هذه المرحلة على كل المنصّات، فقربت المسافات الجغرافية تارة، وخلقت الفوضى في الحياة اليومية بين اخبار صحيحة واخرى كاذبة ومشينة طوراً.

ولم نغفل موضوع **واقع انتشار مرض السرطان** في لبنان وكل ما يجب معرفته عنه لجهة الرصد والعلاج والترّقب.

وفي هذا العدد ايضاً، إطلالة لرئيس **الهيئة الوطنية لسلامة الغذاء** البروفسور ايلي عوض الذي عرض المهام المطلوبة للهيئة ودقّ ناقوس الخطر **لواقع الغذاء** اليوم، مشدداً على إن بناء ثقافة حقيقية لسلامة الغذاء يتطلّب التفكير الوقائي والمساءلة على جميع المستويات والتحسين المستمر.

وإذ ان **لدور استخدام الذكاء الإصطناعي في القطاع الطبي والصحي** حصّة مقبولة ستتم المحافظة عليها في كل عدد، نظراً للتغييرات التي بدأت تفرضها هذه الثورة التكنولوجية في عصرنا هذا على مستوى كل القطاعات، تم تسليط الضوء على قضية اخرى وهي **الأمن السيبراني الذي يشكّل تهديداً للرعاية الصحية** يجدر التحذير منه، وأخذ الإحتياطات اللازمة.

وايضاً، ثمة تقرير عن **تطورت تقنية النانو في الطب** التي اصبحت مجالًا علميًا متعدد الإختصاصات يحمل في طياته وعودًا كبيرة في مجال الرعاية الصحية.

ورغم أن هذا المجال لا يزال قيد التطوير، إلا أن تأثيراته الطبية المباشرة والمرتقبة في مجالات التشخيص، وتأمين الادوية الفعّالة، وتقنيات العلاج الجيني، وتجديد الأنسجة، والأجهزة الطبية الحيوية هي واعدة.

ويرّكز التقرير على أبرز المساهمين في تقنية النانو، مُقدماً نظرة عامة على أهم التطورات في هذا المجال.

وعن مسار رفع قيمة التقديمات الصحية في الصندوق الوطني للضمان الإجتماعي، كتب المدير المالي ورئيس الديوان الأستاذ شوقي ابو ناصيف تحت عنوان: **«تعزيز القطاع الطبي والإستشفائي: دور ومسؤولية الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي».**

في مطلق الأحوال، كل موضوع تم التطرق اليه يشكّل ملّفاً مفتوحاً سنعود اليه في اعداد مقبلة اذا اقتضى ذلك، ودائماً كما عهدنا القراء بشكل علمي وموضوعي.

يبقى السؤال، اذا كان العام ٢٠٢٥ هو عام التغييرات الكبرى هل سيقطف العام ٢٠٢٦ النتائج الإيجابية لكل التحوّلات؟